حكم الاستئناف

طاش حكم لحاكم جانب العدل والتوى
فليعاقب كلاهما اذ هما مصدرا الجوى

خليل مطران

موانع الزواج

(حديث ذو شجون)

نرى الغادة الحسناء كانها غصن بانة يجرح النسيم خديها ويدمي الحرير بنانها وقد كملت محاسنها واعتدل قوامها ورق حديثها وطابت عشرتها تخلب بابتسامها الالباب وتفعل مقلتاها في العقول ما ليس تفعله كؤوس الشراب فنقول هذه زينة المنزل وسعادة الزوج وزهرة الاقتران ونعيم الدنيا فطوبى لمن كان بعلها وهنيئاً لمن كانت له وكان لها. ثم نسأل عنها فيقال لنا انها لا زوج لها وانها لا تزال في بيت ابيها وانها لم تزل تدعى بنت فلان ولم تصر بعد امرأة فلان فنقف لدى ذلك التمثال البديع وقفة المدهش ونقول كيف يقطع هذا الجمال الباهر مراحل العمر ولم يتبعه طالب ولم تعلق به صبابة عاشق. وكيف تبقى هذه الزهرة الناضرة في منبتها كل هذه المدة ولا تمد اليها كف قاطف ولا يحنو عليها وجه ناشق. ألم تخلق هذه الفتاة للزواج فما بالها لم تتزوج او لم يكن هذا الجمال البديع ليسعد به صاحبه فاين ذلك الصاحب وما بال الفتى الذي خلق للحسناء كما خلقت له لا يقدم على هذه الثمرة اليانعة فيجتنيها. وما بال القلب الذي وجد لاجتلاء انوار المحاسن تبدو له مثل هذه الانوار ولا يجتليها. أكان في هذه الفتاة نقص في شرفها او

نقص في دينها او قلة في مالها او عيب في جمالها فيتجافى عنها الطلاب وينصرف عنها الراغبون والخطاب

كلا لم يكن شيء من ذلك ولا في كمال هذه الحسناء شائبة عيب او نقصان وانما هي موانع نوردها للقراء في عرض حديث جرى بين صديقين ننقله عنهما بحرفه وفيه الجواب الشافي على ما تقدم لنا من ذلك السؤال

جلس ذانك الصديقان في بهرة ناد عظيم حفل بالرجال والنساء وتمايل فيه كل فتى رشيق يساير كل غادة حسناء فمرت بهما فتاة عازبة تخجل البدر جمالاً وتزري بالغصن اعتدالاً وقد وردت خديها حمرة الشباب فزادتها بهاء. وكلل جبينها الزاهر اكليل الصبا فزاده رونقاً وصفاء. ولعب الدلال بعطفها كما لعب النسيم بغصن البان. وانفرجت شفتاها تبسم للحياة عن ثغر يخجل اللؤلؤ والمرجان. ودارت الحاظها في القلوب تتخذ العيون اليها سبيلا. وجالت عينها النجلاء في الوجوه ترسل منها الى كل قلب رسولا. فشاهد الناس جنة الخلد ماثلة للابصار وعيناً تسمى سلسبيلا. هذا وقد رفلت من ثيابها في الدمقس والديباج بما يفوق الازاهر. وتحلت من زخارف تلك الاثواب بما يربو على العقود والجواهر. فما تجد الا حللاً فاخرة يمر بها النسيم فيحمل روائح الطيب عنها. واثواباً مزخرفة الالوان لم يلبس سليمان في كل مجده كواحدة منها. وجمالاً ينادي على العشاق قل هو الله احد. فتجيبه القلوب بلسان الابصار مدد الله مدد

فالتفت الصديق الى صديقه وقال انت عزب وهذه فتاة لا ازيدك بها وصفاً فالعين اعدل شاهد فكيف ترى قال جنّبني الزواج ايها الصديق فلا طاقة لي به. قال انك من بيت كريم وفي مركز حسن ولك راتب كاف

وامامك فتاة فتانة حسناء فما الذي يثنيك عن هذه السعادة التي خلقت لها وهي ضالة كل شاب ينشدها في كل مكان ويأخذها حيث ظفر بها. قال ان الحاضر حسن والمركز مأمون والفتاة حسناء ولكن من يضمن لي مستقبل الامر. قال واي مستقبل تريد. قال اريد انني اقدر على الزواج الآن اذا باشرته بحاضر امره ولكنني لا اقدر عليه اذا فكرت به في مستقبل حاله وان هذه الفتاة الهيفاء التي يكاد يفتنني جمالها اذا تأملت انها ستكون زوجتي ارتجف رعباً من مستقبل اثقالها. ألا ترى الى هذه الملابس الفاخرة والحلل المزخرفة والمشية المختالة والحلي اللامعة . قال نعم اراها . قال انها بقدر ما تعجبني الآن وهي بعيدة عني ترهبني متى صارت قريبة مني وحقاً اقول لك انني احب ان ارى حسان الغادات يلبسن افخر الملابس ويرفلن في اغلى الاثواب ولكن احب ان يكون ذلك على عاتق اهلهن وان لا يكون منه عليَّ سوى لذّة النظر اليه ألا ترى انك لو وهبتني الآن مركبة فاخرة بسائقها وخيلها الجياد وكلفتني ان ابقيها عندي واتعهدها من مالي لرفضتها بتاتاً وانا اعلم انها هبة ثمينة وانها تساوي مئات من الدنانير. قال ولماذا. قال لانها اذا كانت زينة وفخراً لي افتخر به فانها وقر ثقيل عليَّ بما اتكلف لها من باهظ النفقة وكثرة المال ولذلك فانا احب ان اراها عند صاحبها فاسر بمنظرها اكثر مما احب ان اراها عندي فاتكلف اثقال الانفاق عليها. وهكذا اقدر ان اقول عن هذه الفتاة الجميلة انني احب منظرها وهي لابيها ولكنني لا احبه وهو لي ولقد كنت احبه واتفانى في ادراكه لو كان مجرداً مثل حبي وقلبي ولكنه لا يكون كذلك بل تتبعه اثقال الملابس والازياء. وحقاً اقول لك ان الفتاة التي تبالغ في زينة ثيابها وتحسين ازيائها انما تتقرب من العيون

فقط ولكنها تبعد عنها القلوب مع انها انما تفعل ذلك لتجلب الى نفسها الامرين جميعاً فلا تحصل الا على الامر الذي لا يفيدها وهو نظر العيون وتحرم الذي تسعى لاجله وهو ميل القلوب وحب النفوس فيراها الشاب جميلة حسناء فيميل اليها ولكنه لا يلبث ان يرى ملابسها واسرافها ويقدّر ما سيكون نصيبه منها فيتباعد عنها . وعندي ان الزينة والملابس واختلاف الازياء وتحسين الجمال لم توجد كلها الا لغاية واحدة هي التقرب والائتلاف لتكون مقدمة لامتلاك القلب ومن بعده لعقد القران الذي لا ينشأ الا عن الحب الذي لا ينشأ ايضاً الا عن الاستحسان

قال صدقت واني اجد في كلامك احد الموانع الكبرى دون الزواج وعقبة عظيمة في سبيل الاقتران او في سبيل راحة الزوجين ولكن الا ترى ان الجمال وحده يكفي للحب وانك اذا احببت لم تعد تسأل في سبيل حبك عن نفقات ولا ازياء

قال اصبت واني لو كنت غنياً واحببت لفعلت ذلك واقدمت على هذا الامر ولو كان فيه وقر وثقل عليّ ولكنني لست غنياً اولاً ولا محباً ثانياً فكيف تريد ان اقدم على هذا الخطر بمجرد حب الخطر فقط وهنا اجد مانعاً آخر من موانع الزواج وهو عدم الحب الذي يكون القائد الوحيد الى القران في غالب الاحيان

قال اذا كان الامر كذلك وقد وقفت المسألة على الحب فاذا كنت لا تقدر ان تكون غنياً كما ذكرت افلا تقدر ان تكون محباً . قال ولا هذا ايضاً لان للحب اسباباً مثل اسباب الغنى تماماً وان كانت ايسر منها حصولاً فكما لا تتيسر لي اسباب الغنى اجد انه لا تتيسر لي اسباب الحب لان اسباب

الغرام وان قالوا انها العيون فانها الاذان والقلوب ايضاً وانما الحب عشرة وعادة اكثر مما هو نظر عيون الى عيون فكيف تريد اذا استحسنت فتاة مثل هذه ان احبها في الحال وانا لم اعاشرها ولم اتعود قربها وحديثها لتنشأ بي عاطفة الحب والميل اليها

قال واذا لا تعاشرها وما الذي يمنعك من ذلك. قال لاننا معشر الشرقيين لم ندرج على الفة الاجتماع في منازلنا بما يكفل لنا عاطفة المحبة ووجدان الميل الى الفتاة بل نحن نقضي كل اوقات فراغنا في القهاوي والنوادي والمجتمعات العامة فلا تجد عندنا سمراً مما يسمونه سهرة او اجتماعاً عائلياً الا فيما ندر والنادر لا يؤثر في القلب ولا ينشأ عنه الحب الصحيح ولذلك فانا ارى من الواجب على كل فتاة ان يكون لبسها بسيطاً كاملاً يظهر آدابها وجمال نفسها اكثر مما يظهر اسرافها وكثرة مطالبها وجمال محياها الذي يظهر غالباً في البساطة اكثر مما يظهر بالزخارف والتزيين وان تبقى كذلك ما دامت فتاة حتى تتزوج وعندها فاما ان تجد زوجها غنياً قادراً فتلبس على قدر ثروته وغناه واما ان يكون متوسطاً مكتفياً فتجري على حسب كفايته وماله وتكون في كل ذلك عاقلة حكيمة تسري على مقتضى الظروف وواجبات الاحوال وهو الجمال الحقيقي الذي يجب ان تفتخر به النساء وتكون منه سعادة القران للرجال اما مسألة الاجتماعات العائلية والسهرات المنزلية فاتركها لارباب العائلات وادع الكلام فيها الى غير هذا المقال